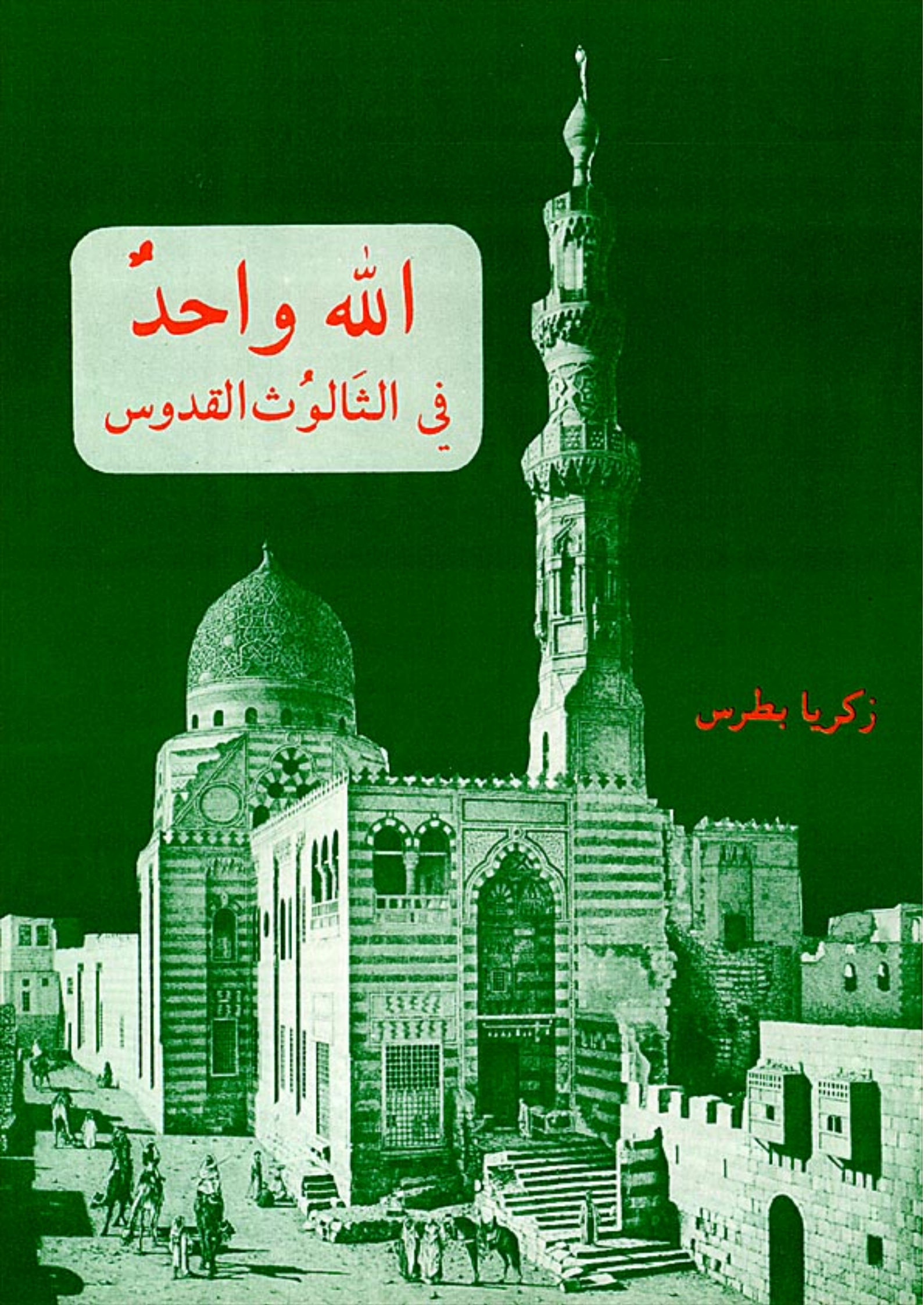


الله واحد
في الثالوث القدوس

زكريا بطرس



الله واحد في الثالوث القدوس
بقلم القمص زكريّا بطرس

٣	هذا الكتاب
٣	الفصل الأول: وحدانية الله الجامعة في الثالوث الأقدس
٣	وحدانية الله في المسيحية
٣	الثالوث الأقدس في المسيحية
٣	حتمية الثالوث في الوحدانية
٣	الفصل الثاني: شهادة القرآن لوحدانية الثالوث الأقدس
٤	شهادة القرآن لثالوث المسيحية
٤	شهادة القرآن أنّ المسيح كلمة الله
٤	شهادة القرآن للروح القدس
٤	الفصل الثالث: ألقاب الثالوث الأقدس
٤	ألقاب الثالوث الأقدس
٤	الآب
٥	الابن
٥	الروح القدس
٥	الفصل الرابع: الثالوث المعترض عليه
٥	ثالوث المريميين
٥	موقف المسيحية
٥	موقف الإسلام
٦	الفصل الخامس: إشراف النعمة
٦	برهان الروح
٦	تخبط في الظلام
٦	نعمة الإعلان
٧	جاذبية حنان
٧	نور الإيمان
٨	أعظم برهان
٩	الخلاصة
٩	مسابقة كتاب: «الله واحد في الثالوث القدوس»

الله واحد في الثالوث القدوس

هذا الكتاب

عندما يكون الإنسان طفلاً، تعطى له الحقائق العويصة مبسطة مجتملة، ولكن عندما ينضج هذا الطفل ويكمل إدراكه، لا تشعبه المعلومات المجتملة المبسطة، وإنما يسعى باحثاً عن دقائق الأمور وتفصيلها إذ يضحى عقله مستعداً لتقبلها واستيعابها.

وهذا هو الحال مع البشرية فعندما كانت في مرحلة الطفولة الفكرية. أعطاها الرب صورة مبسطة مجتملة عن ذاته، على قدر ما تستطيع أن تدرك. ولهذا يقول بولس الرسول: «وَأَنَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَمْ أَتَّطِقْ أَنْ أَكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيَّيْنَ، بَلْ كَجَسَدِيَّيْنَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ، سَقَيْتُكُمْ لَبَنًا لَا طَعَامًا، لِأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدَ تَشْتِطِيْعُونَ، بَلِ الْآنَ أَيْضًا لَا تَشْتِطِيْعُونَ» (١ كورنثوس ٣: ١-٢).

وعندما جاء ملء الزمان ونمت عقلية المؤمنين بدأ الرب يعلن عن ذاته بأنه واحد في ثالوثه الأواحد ويكشف لنا عن هذا السر العظيم الذي كان خفياً عن البشرية في طور عجزها الروحي والإدراكي. وعندما أنعم الرب علينا بعطية الروح القدس، كشف لنا عن حياته الخاصة وكيانه الإلهي، كما يقول بولس الرسول: «أَعْلَنَهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْحِصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقِ اللَّهِ» (١ كورنثوس ٢: ١٠).

ولا زالت هذه العقيدة سرّاً يجهلها الجسدانيون، ويعترضون عليه لقصور إدراكهم لحقائق الإيمان القويم وسرّ الله المكتوم.

من أجل هذا وضعت هذا الكتاب - بنعمة الله - لتبسيط وإيضاح ما غلق فهمه، وما عسر إدراكه، حتى يستطيع كل من يقرأه أن يؤمن بهذا السرّ الإلهي، ويعلم أنّ هذه العقيدة لا تتعارض مع العقل بل تشعبه. ويرى أنّ الذين يحاربون هذا الإيمان عن غير معرفة، تشهد كتبهم لهذه العقيدة شهادة واضحة.

وأنتي إذ أضع هذا الكتاب بين أيدي الجميع، إيضاحاً لإيماننا الأقدس، أرفع قلبي إلى العليّ ليجعله سبب بركة للكثيرين، ويفتح أمامهم باب الإيمان القويم فينعم بمحبة الله الأب ونعمة الابن الوحيد وشركة وموهبة الروح القدس الثالوث الأقدس في الإله الواحد الذي له المجد الدائم إلى الأبد آمين.

القمص زكريّا بطرس

«مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن

سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف» (١ بطرس ١٥: ٣).

الفصل الأول

وحدانية الله الجامعة في الثالوث الأقدس

وحدانية الله في المسيحية

نحن معشر المسيحيين نؤمن بإله واحد لا شريك له غير محدود، مالى السموات والارض خالق الكل أزلي قبل الأوان، أبدي لا نهاية لملكه.

وهذه العقيدة واضحة تماماً في الإنجيل المقدس وقانون الإيمان المسيحي كما سترى.

١ - السيد المسيح نفسه يوضح هذه العقيدة بفيه الطاهر عندما جاءه أحد اليهود ليسأله عن أعظم الوصايا (فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ التَّوَصِيَّاتِ هِيَ: اسْمَعِ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ التَّوَصِيَّةُ الْأُولَى» (مرقس ١٢: ٢٩ و ٣٠). وهي صدى وتوكيد لما جاء في سفر التثنية (٦: ٤-٩) ولو صيغت هذه الوصية بلغة القرآن لكانت هكذا: «الله إلهنا هو الله أحد الله الصمد».

٢ - وبولس الرسول يوضح أيضاً ذلك بقوله: «أَمَّ اللَّهُ لِلْيَهُودِ فَقَطُّ؟ أَلَيْسَ لِلْأُمَّمِ أَيْضًا؟ بَلَى لِلْأُمَّمِ أَيْضًا؟ لِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ» (رومية ٣: ٢٩ و ٣٠).

٣ - ويعقوب الرسول يوضح ذات العقيدة بقوله: «أَنْتَ تُوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ» (يعقوب ٢: ١٩).

٤ - ومن هذه النصوص وغيرها التي يزخر بها الكتاب المقدس أخذ قانون الإيمان المسيحي الذي تردده الكنيسة على مدى الأجيال: «بالحقيقة نؤمن بإله واحد... خالق السموات والأرض ما يُرى وما لا يُرى».

فنحن المسيحيين نؤمن بإله واحد وليس بثلاثة آلهة. أمّا عن قولنا «الأب والابن والروح القدس» فهذا ما سنوضح مفهومه الصحيح في حديثنا عن الثالوث الأقدس.

الثالوث الأقدس في المسيحية

إنّ عقيدة الثالوث لا تعني مطلقاً وجود ثلاثة آلهة كما يتوهم البعض، ولكن مفهوم هذه العقيدة هو أنّ الله الواحد:

١ - موجود بذاته فأعلن مسمياً نفسه (الأب).

٢ - ناطق بكلمته فأعلن مسمياً نفسه (الابن الكلمة).

٣ - حيّ بروحه فأعلن مسمياً نفسه (الروح القدس).

ولا يفهم من هذه التسميات وجود علاقة جسدية كما في المفهوم البشري وإنما دلالاتها روحية.

وليست هذه التسميات من وضع إنسان أو اختراع بشر وإنما هي كلمات الوحي الإلهي في الكتاب المقدس كما سترى:

١ - قال السيد المسيح لتلاميذه: «أَذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْأَبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (الإنجيل بحسب متى ٢٨: ١٩).

٢ - يوحنا الرسول يؤكّد هذا المفهوم بكلّ وضوح قائلاً: «فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْأَبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» (رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧).

وبمقارنة الآيتين تجد ألقاب الثالوث الأقدس؛ الأب والابن والروح القدس.

هذا هو الثالوث الأقدس في الإله الواحد الذي نؤمن به.

حتمية الثالوث في الوحدانية

مما سبق يتّضح حتمية الثالوث في الوحدانية، إذ أنّه:

١ - لا يمكن أنّ الله الواحد الذي أوجد الموجودات كلّها يكون هو نفسه بلا وجود ذاتي.

٢ - لا يمكن أنّ الله الذي خلق الإنسان ناطقاً يكون هو نفسه غير ناطق بالكلمة.

٣ - لا يمكن أنّ الله الذي خلق الحياة في كلّ كائن حيّ يكون هو نفسه غير حيّ بالروح. لذلك تحتم أنّ يكون في «الله الواحد» (ثالوث أقدس) على نحو ما أوضحنا وهذا هو إيماننا القويم «الله واحد في ثالوث وليس ثلاثة آلهة».

الفصل الثاني

شهادة القرآن لوحدانية الثالوث الأقدس

شهادة القرآن لتوحيد المسيحيين

يشهد القرآن للمسيحيين بأنهم موحدون بالله وغير مشركين، وأنهم ليسوا كفرة. ويتّضح ذلك ممّا يلي:

١ - سورة العنكبوت ٢٩: ٤ «وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... وَقُولُوا آمَنَّا

بِالَّذِي أَنْزَلَ الْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
وَاجِدٌ».

وبهذا يشهد القرآن أنّ المسيحيين أهل الكتاب
يعبدون الله الواحد.

٢ - سورة آل عمران ١١٣:٣-١١٤ «مَنْ أَهْلُ
الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ
وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْتُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَتَّهَوُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ...».

وفي هذا إيضاح جلي بأن أهل الكتاب (أي
المسيحيين) يؤمنون بالله الواحد، يتلون كتابه
الموجود بين أيديهم في أيام محمّد، ويسجدون لله
الواحد أثناء تأدية العبادة له.

٣ - سورة المائدة ٨٢:٥ «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
لِلَّذِينَ آمَنُوا (أي المسلمين) الْيَهُودَ وَالَّذِينَ
أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيينَ
وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

ويتضح من هذا أنّ النصارى ليسوا مشركين بالله.
فالمشركون واليهود هم أشدّ الناس عداوة للمسلمين
أما النصارى فهم أقرب الناس مودة لهم.

٤ - سورة آل عمران ٥٥:٣ «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى
إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَجَاعِلَ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

يتضح لك من هذا أيضاً أنّ الذين تبعوا المسيح
(وهم المسيحيون) ليسوا كفرة، بل أنّ الله يميّزهم عن
الكفرة ورفعهم فوقهم.

فمن كلّ ما تقدّم تأكد لك شهادة القرآن
لنصارى بأنهم يعبدون الله الواحد ولا يشركون به.

شهادة القرآن لثالوث المسيحية

ويذكر القرآن ثالوث الله الواحد تماماً كما تؤمن به
المسيحية. فقد مر بنا أنّ ثالوث المسيحية هو: ذات
الله وكلمته وروحه.

وهذا هو عين ما ذكره القرآن وفي آية واحدة:

سورة النساء ٤: ١٧١ «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَوُجِدَ مِنْهُ».

ففي هذه الآية يتضح أنّ الله له:

١ - ذات: في قوله «رسول (الله)»

٢ - كلمة: في قوله (وكلمته) فالهاء ضمير مفرد
غائب يعود على الله.

٣ - روح: في قوله «روح منه» فالهاء في (منه)
ضمير مفرد غائب يعود على الله. ولا يقول
المسيحيون بأكثر من هذا. وقد تأكدت
شهادة القرآن لعقيدة الثالوث. وهذا لا
يقضي الشرك بالله وأن لا إله إلا هو.

شهادة القرآن أنّ المسيح كلمة الله

يشهد القرآن أنّ المسيح هو كلمة الله. وذلك ممّا
يلي:

١ - سورة النساء ٤: ١٧١ «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ».

٢ - سورة آل عمران ٣: ٣٩ «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بَيْحَى
(أي يوحنا المعمدان) مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ».

وقد فسر الإمام أبو السعود ذلك بقوله (مصداقاً
بكلمة الله أي بعيسى عليه السلام... إذ قيل أنه أول

من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروح منه. وقال
السدي: لقيت أم يحيى أم عيسى، فقالت يا مريم
أشعرت بحبلي؟ فقالت مريم وأنا أيضاً حبلى. قالت
أم يحيى: إنني وجدت ما في بطني يسجد لما في
بطنك، فذلك قوله تعالى (مصداقاً بكلمة من الله).
(تفسير أبي السعود محمد بن محمّد العمادي
ص ٢٣٣).

٣ - سورة آل عمران ٤: ٣ «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ
إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ» وإشارته إلى الكلمة «بضمير مذكر

في قوله بكلمة منه اسمه» ولم يقل «بكلمة منه
اسمها». دلالة واضحة على أنه لا يقصد بها
مجرد كلمة عادية، بل كما وضّحها أحد
علماء المسلمين وهو الشيخ محيي الدين بن
العربي إذ قال: الكلمة هي الله متجلباً... وهي
عين الذات الإلهية لا غيرها. (كتاب فصوص
الحكم الجزء الثاني ص ٣٥).

وقال أيضاً «الكلمة هي اللاهوت» (ص ١٣).

أليس هذا هو عين ما قيل عن السيد المسيح في
إنجيل يوحنا «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان
عند الله، وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسداً»
(يوحنا ١: ١ و١٤).

ولاحظ أيضاً الإشارة إلى الكلمة بضمير المذكر
في القول «كان الكلمة» ولم يقل «كانت الكلمة»
ويفسر ذلك بقوله «وكان الكلمة الله» وقد ظهر في
الجسد «والكلمة صار جسداً».

شهادة القرآن للروح القدس

يذكر القرآن في آيات عديدة الروح القدس على
أنه روح الله وأنه أيد السيد المسيح به كما يتضح ممّا
يلي:

١ - سورة البقرة ٢: ٨٧ وأيضاً آية ٢٥٣ «وَاتَّبَعْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَنِينَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ».

٢ - سورة المائدة ٥: ١١٠ «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ
أَيَّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ

وَكَهَلًا».

ويقول الشيخ محمّد الحريري البيروني «روح
القدس هو روح الله» (كتاب الروح وماهيتها
ص ٥٣).

هذه شهادة القرآن وعلماء الإسلام لعقيدة
الثالوث الواحد التي يؤمن بها المسيحيون.

الفصل الثالث ألقاب الثالوث الأقدس

ألقاب الثالوث الأقدس

ممّا سبق عرفنا أنّ المسيحية تؤمن بإله واحد في
ثالوث: ذات الله. كلمته. وروحه. ويطلق على هذا
الثالوث أسماء أخرى:

الآب (ذات الله)

الابن (كلمة الله)

الروح القدس (روح الله)

وتقوم في وجه هذه التسمية اعتراضات من غير
الفاهمين، إذ يظنون أنها تفيد التوالد التناسلي
والعلاقات الجسدية. وحاشا للمسيحية من هذا
المفهوم، ولذلك سنوضح القصد من هذه التسمية
فيما يلي:

الآب

مفهوم كلمة الآب:

نحن المسيحيين لا نقصد بهذا اللفظ المعنى
الجسدي بل:

أولاً - المعنى المجازي:

فالله هو مصدر كلّ الكائنات وخالقها، فيسمى
أب المخلوقات جميعها، لا سيما العاقلة، كما يقول
النبي موسى: «الآن هو أبك ومقتنيتك، هو عمّلك
وأنشأك؟» (تثنية ٣٢: ٦) أو كما قال النبي إشعياء:
«يَا رَبُّ أَنْتَ أَبُوْنَا» (إشعياء ٦٤: ٨). وفي العهد
الجديد أعلن الرسول بولس: «لَنَا إِلَهُ وَاحِدٌ: الْآبُ
الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ» (١ كورنثوس
٦: ٨).

وبهذا المعنى ترد لفظة الآب في اللغة مثل: أبو
الخير، أبو البركات، وأبو الفضل وغيرها، ولا تؤخذ
بمعنى التوالد أو التناسل الجسدي بل بالمعنى المجازي.

ثانياً - المعنى الشرعي:

ففي حالة التبتّي، لا تعني لفظة «الآب» أنه قد
أنجب الابن المتبني، بل أنه قبله في محلّ ابن، ومنحه
كامل الحقوق الشرعية، واعتبر نفسه مسؤولاً عنه
ملتزمًا به كأب حقيقي. ويقول الرسول بولس في
هذا «... أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَتِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُحُ: يَا أَبَا

الفصل الرابع الثالوث المعترض عليه

الثالوث المريميين

قُبيل الإسلام، وفي القرن الخامس الميلادي، ظهرت بدعة (أي تعليم غريب غير صحيح وفيه كفر وهرطقة) بين الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، وكانوا قبلاً أي في زمان وثنيهم يعبدون «الزهرة» ويقولون عنها «ملكة السماء». وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية. فاعتبروا مريم هي ملكة السماء أو إلهة السماء بدلاً من «الزهرة» ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم «المريميين» (الله ذاته ونوع وحدانيته - عوض سمعان، صفحة ١٢٧، وكتاب القول الإبريزي للعلامة أحمد المقرئ ص. ٢٦) وبذلك أصبحت عقيدتهم أن هناك ثلاثة آلهة هم:

الله... مريم... والمسيح!!

موقف المسيحية

وبمجرد ظهور هذه البدعة حاربتها الكنيسة المسيحية وقاومتها وحرمت معتنقيها من شركة الإيمان، وقطعت كل من يقول بقولهم. ولم ينته القرن السابع الميلادي حتى اندثرت هذه البدعة، ولم يعد لأتباعها وجود.

وأكدت الكنيسة إيمانها الأقدس بأن العذراء مريم إنسانة بشرية وليست إلهة، وأن الله واحد له ذات واحدة، ناطق بالكلمة، حي بالروح. والكلمة هو المسيح الذي تجسد إنساناً في عالمنا «ظيماً هو سيرُ التَّقْوَى: أَللهُ ظَهَرَ فِي الجَسَدِ» (١ تيموثاوس ١: ٦:٣).

موقف الإسلام

عندما ظهر الإسلام في القرن السابع للميلاد، وجد بعض أتباع هذه البدعة المريمية قبل أن تختفي تماماً، فحارب الإسلام عقيدتهم وثالوثهم (وليس ثالوث المسيحية) ويتضح هذا من الآيات الآتية:

١ - سورة المائدة ٥: ١١٦ «وإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ؟».

واضح جداً أن الاعتراض هنا يقصد به المريميين الذين نادوا بأن مريم إلهة، وهذا ما لا تقول به المسيحية.

٢ - سورة الأنعام ٦: ١٠١ «بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى (كيف) يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً (زوجة)».

كذلك يفهم من هذه الآية أنها تعترض على قول

الكلمة التي يتكلم بها الإنسان «بنت شفة» فنقول مثلاً «لم ينطق الرجل ببنت شفة» أي أن الرجل لم ينطق بكلمة.

كلمة ابن في القرآن:

جاءت في القرآن كلمة «ابن» لتفيد غير التوالد التناسلي، كما يتضح لك مما يلي:

سورة البقرة ٢: ٢١٥ «قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللّٰهِ وَاللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَنْبِيَ السَّبِيلِ» ويقول المنسرون كلمة «ابن السبيل» تشير إلى المسافر، وقال الإمام النسفي والشيخ حسنين مخلوف «دعي ابن السبيل ملازمته للطريق» (تفسير النسفي، جزء ١ ص ٨٦، صفوة البيان لمعاني القرآن الشيخ حسنين مخلوف، جزء ١ ص ٨٠).

حديث قدسي:

جاء في حديث قدسي «الأغنياء وكلامي والفقراء عيالي» أي أولادي، فهل يفهم من هذا أن الله أخذ زوجة وأنجب منها أولاداً هم الفقراء!؟

إذاً فكلمة «ابن الله» لا تفيد التوالد التناسلي بالطريقة البشرية، وإنما قصد بها نسب المسيح إلى الله. وليس في ذلك كفر ولا إشراك، لأن نبوة المسيح تنبع من أبوة الله الروحية. فالله هو الأب والمسيح هو الابن على الإطلاق، وبالمعنى الوحيد الخاص الذي لا ينطبق على غيره.

روح القدس

قد مر بنا الحديث عن الروح القدس أنه روح الله، وقد ورد ذكره في القرآن في مواضع كثيرة منها:

سورة يوسف ١٢: ٨٧ «وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ».

سورة البقرة ٢: ٨٧ و ٢٥٣ «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ».

وقال الإمام النسفي «بروح القدس أي الروح المقدسة... أو باسم الله الأعظم» (تفسير النسفي جزء ١ ص ٥٦).

سورة المائدة ٥: ١١٠ «أَذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ إِذْ أُيِّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ».

وقال السيد عبد الكريم الجبلي عن الروح القدس إنه غير مخلوق، وغير المخلوق أزلي، والأزلي هو الله دون سواه (مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٤).

وقال أيضاً الشيخ محمد الحريري البيومي: «روح القدس هو روح الله، وروح الله غير مخلوق» (الروح وماهيتها صفحة ٥٣).

هذا هو الثالوث الأقدس في الله الواحد الذي نؤمن به، وهذا هو سر تسميته بالأب والابن والروح القدس.

الآب! (رومية ٨: ١٥) أو (لِتَنَالَ الْبَنِيَّ) (غلاطية ٤: ٥). فأبوة الله لبنوتنا قائمة على حقوق شرعية إلهية.

ثالثاً - المعنى الجوهرى:

وهو المعنى الإيجابي الذي لا ينطبق إلا على أفنومية الله تعالى. فالابن انبثق من الأب قبل كل الدهور، منذ الأزل كما تنبثق الكلمة من الفم أو كما تنبثق الأشعة من الشمس. والمسيح الذي هو الابن تجسد في أحشاء (القديسة) العذراء مريم، لأنه كان منذ الأزل روحاً من الله الروح. جاء في الإنجيل بحسب يوحنا: «والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداً كما لوحيده من الأب، مملوءاً نعمة وحقاً». ويسوع نظر إلى الله على أنه أبوه بهذا المعنى الجوهرى الخاص المتفرد الذي لا ينطبق على أحد سواه. «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْإِبْنَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ» (متى ١١: ٢٧).

رابعاً - المعنى الروحي:

بعد أن سكب الله روحه القدوس في جميع المؤمنين بابنه، وُلدوا ثانية ولادة روحية، متجددين من هذا الروح الإلهي اللطيف «الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنْ اللَّهِ» (يوحنا ١: ١٣). وقد علمنا يسوع المسيح أن نصلي: «أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك» وعليه فلا يحق لأي إنسان عادي أن يسمي نفسه ابن الله والله أباه ما لم يحصل على التبيي الشرعي ومسحة الروح القدس الذي يعلن لنا سر اسم الله (الأب). فلا نؤمن بأبوة الله بطريقة جسدية، بل بطهارة القداسة، وفي ولادة المسيح، وفي حلول الروح القدس في المؤمنين به.

الابن

مفهوم كلمة ابن:

في قولنا المسيح ابن الله لا نقصد أن المسيح جاء عن طريق تزواج على طريقة ما. فنقولنا «ابن» لا نقصد بها العلاقة الجسدية أو الولادة التناسلية، وإنما نقول «المسيح ابن الله» أي أنه جاء من عند الله. فالله هو روح، لذا تنبع نبوة المسيح من أبوة الله الروحي. ومع أن هذه النبوة ليست مجازية، إلا أن اللغة العربية استخدمت كلمة (ابن) في اللغة والقرآن والحديث بهذا المعنى، وليس للدلالة على التوالد التناسلي كما يتضح مما يلي:

كلمة «ابن» في اللغة:

في كثير من التعبيرات اللغوية تُستخدم كلمة ابن على غير التوالد التناسلي، كقولنا عن الطلبة «أبناء العلم» وعن المواطنين «أبناء الوطن» وعن المصري «ابن النيل» وعن الأعرابي «ابن البادية»... وعن

المريميين بأن مريم إلهة وصارت لله صاحبة أنجب منها ولدًا!!!

٣ - سورة الإخلاص ١١٢ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». وهي تردّ على بدعة المريميين الذين يقولون إنّ هناك ثلاثة آلهة الأب والأم والابن، وإنّ هذا الابن جاء عن طريق التناسل.

٤ - سورة المائدة ٧٣:٥ «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ». وهي تؤكد نفس المعنى وتفتي ما ذهب إليه المريميون بوجود ثلاثة آلهة.

ومن كلّ ما تقدّم يتّضح أنّ الإسلام لم يحارب إيمان المسيحية بأنّ الله واحد له ذات واحدة ناطق بالكلمة، حيّ بالروح كما في الآية «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ... وَرُوحٌ مِنْهُ» (سورة النساء ٤: ١٧١). ولكنّ الإسلام يحارب ثالوثاً آخر هو ثالوث بدعة المريميين الذين يؤلّهون مريم العذراء ويعتبرونها إلهة أنجبت المسيح عن طريق التناسل، بعد أن اتخذها الله سبحانه صاحبة (أي زوجة).

هذا الكلام الذي استتبعته المسيحية وحرارته بشدّة وحرمت القائلين به. أمّا إيمان المسيحية القويم فهو الإيمان بإله واحد في ثالوث الأب والكلمة والروح القدس.

الفصل الخامس إشراق العمة

برهان الروح

قد تمّشيت معك يا عزيزي القارئ خلال هذا البحث إلى الآن مظهرًا صحّة إيماننا في الثالوث والوحدانية بأدلة عقلية ومنطقية، أو بمعنى آخر بالحكمة الإنسانية. ولكن بولس الرسول يُرينا أنّ الإيمان لا يأتي بحكمة بشرية، بل ببرهان الروح والقوّة فيقول: «وَكَلَامِي وَكِرَازَتِي لَمْ يَكُونَا بِكَلَامِ الْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُنْعَبِ بَلْ بِرُوحَانِ الرُّوحِ وَالْقُوَّةِ، لِكَيْ لَا يَكُونَ إِيمَانُكُمْ بِحِكْمَةِ النَّاسِ بَلْ بِقُوَّةِ اللَّهِ» (١ كورنثوس ٢: ٤-٥) فدعني أتكلّم عن برهان الروح والقوّة.

برهان الروح يكون في القلب لا في العقل وحده: «لأنّ القلب يؤمن به للبرّ، والّهم يُعترف به للإخلاص» (رومية ١٠: ١٠). ويأتي الإيمان القلبي نتيجة إشراق النعمة داخل الإنسان لتُظهر له سرّ الإيمان وتكشف له عن محبة الله وعمله العجيب من أجله، حتّى ارتضى أن يظهر في صورة إنسان ويسير في طريق

الجلجثة حاملاً صليب العار ليفدي إنساناً خاطئاً نظرياً.

واعلم يا أخي أنّ الربّ مستعدّ أن يشرق في قلبك لإنارة معرفة مجده، لأنّه يحبّك شخصياً برغم خطاياك وشروك وتجاديفك التي جدّفت بها عليه. وهو مستعدّ أن يغفر ويصفح وينسى آثامك، إن أقبلت إليه في ندامة وفي خضوع وسلّمت حياتك وقلبك له. وثق تماماً أنّه لا يرفضك، فقد قال «مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لَا أُخْرِجُهُ خَارِجًا» (يوحنا ٦: ٣٧).

فأقبل إليه الآن، وألّني بخطاياك أمامه، وهو بكفارته يطهرك من كلّ خطيئة «لأنّ دَمَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ» (١ يوحنا ١: ٧). قُلْ له: «بئد ياربّ ظلمة قلبي. أشرق بنورك أمامي. عزّمني طريقك. احفظني من الشرّ حتّى لا يتعبني».

تخييط في الظلام

ما من شكّ أنّ الاعتماد على العقل وحده لإدراك الحقائق الإيمانية أمر محال، فالوحي الإلهي يقول: «إِلَى عُمُقِ اللَّهِ تَتَّصِلُ، أَمْ إِلَى نِهَائِيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَابِوِيَّةِ، فَمَاذَا تَدْرِي؟» (أيوّب ١١: ٧-٨).

فكيف إذا الإله غير المحدود يدركه عقل محدود؟ فإذا لم ينتبه البعض لهذه الحقيقة ضلّوا عن الإيمان وتخييطوا في دياجير الظلام واليك بعض الأمثلة:

١ - مجال الفلسفة:

تعتمد الفلسفة في تفكيرها على العقل المجرد، لذلك وجدنا تضارباً واختلافاً بين الفلاسفة على مرّ العصور. فمنهم الملحدون ومنهم المؤمنون. ويعطينا الفيلسوف الإنجليزي «كارليل» (١٧٩٥-١٨٨١) مثلاً واضحاً على مدى التخييط في ظلام الفكر البشري.

فقد بدأ كارليل حياته مؤمناً، ثمّ قرأ فلسفة «هيوم» وغيره من الفلاسفة المتشكّكين فانتعج بأرائهم وتبدّد إيمانه... وبينما هو عاكف على البحث والاستقصاء قرأ فلسفة «شيلر» و«جوته» و«فخته» فتأثّر بأرائهم وتغيّر موقفه، وأخيراً عاد إلى الإيمان.

وبهذا تحقّق الفيلسوف كارليل من هذه الحقيقة الخالدة التي قرّرها بعد طول بحث ودراسة وهي «أنّ العقل لم يعد هو مصدر المعرفة الحقّة، بل صار القلب هو ذلك المصدر» (تاريخ الفلسفة الحديثة ليوستوف كرم ص ٣٢٢).

٢ - مجال المسيحية:

كم من هراطقة (الهراطقة أناس خرجوا عن الإيمان) أرادوا أن يخضعوا حقائق الإيمان لمقاييس العقل البشري فألقوا بأنفسهم في التهلكة، أمثال «أريوس» و«مقدونيوس» و«نسطور». فأريوس لم

يقبل عقله إمكانية ظهور الله في جسد إنسان فنفى لاهوت المسيح، واجتمع بطاركة الكنيسة وأساقفتها في العالم كلّه وناقشوا هذا الموضوع وفقاً لتعاليم الكتاب المقدّس وحكموا بفرز أريوس ونفيه ودحض تعاليمه المنافية للإيمان.

٣ - مجال الإسلام: (مذكّرة التوحيد والفرق مقرّر للجنة الخامسة بالأزهر للشيخ حسن متولّي ص ١٠٥-١١٨)

وكم من فرقة مختلفة ظهرت في الإسلام وتضاربت معتقداتها، فمثلاً: الخوارج وغلاة الشيعة والنصيرية يغالون في نعت عليّ بن أبي طالب. والجبرية والمعتزلة والقدرية (زالت وبقي تأثيرها) أنكروا صفات الله.

والأشاعرة المتربديّة والزبيديّة والأماميّة والإسماعيلية يقولون إنّ للعالم مديرين، الأوّل هو الله والثاني هو النفس ويبيحون المحرّمات.

والبهائية، يغالون في وصف زعيمهم بهاء الله. والدروز يغالون أيضاً في نعت الحاكم بأمر الله الفاطميّ.

ألا يدلّ هذا كلّه على تخييط العقل في ظلام الفكر القاصر، وعلى احتياج العقل لإشراق النعمة ونور الإيمان؟؟

عمّة الإعلان

ما من إنسان يستطيع بعقله أو بحكمته المجردة أن يصل إلى معرفة الله، إمّا يحتاج الأمر إلى إعلان إلهي، حتّى يستطيع الإنسان في ظلام فكره أن يعرف السرّ الخفيّ عن العقول البشرية القاصرة. وقد عرف بعض الفلاسفة أهميّة هذه النعمة وأطلقوا عليها نظرية الإشراق «فلا يمكن معرفة الله (كما قال أحد الفلاسفة) إلّا بفضل إشراق من الله، فالله هو المعلم الباطن» (تاريخ الفلسفة الأوربانية في العصر الوسيط ليوستوف كرم ص ٣٢) «هو النور الحقيقيّ الذي ينير كلّ إنسان في هذا العالم».

وقد تكلم الكتاب المقدّس عن هذين الموضوعين: عجز الإنسان وضرورة الإعلان.

عجز الإنسان:

يوضح الكتاب المقدّس عجز العقل البشريّ عن إدراك الأمور الإلهية، فيقول في سفر أيّوب: «إِلَى عُمُقِ اللَّهِ تَتَّصِلُ، أَمْ إِلَى نِهَائِيَةِ الْقَدِيرِ تَنْتَهِي؟ هُوَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ؟ أَعْمَقُ مِنَ الْهَابِوِيَّةِ، فَمَاذَا تَدْرِي؟ أَطُولُ مِنَ الْأَرْضِ طُولُهُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْبَحْرِ» (أيوّب ١١: ٧-٨).

وقال أحد الحكماء: «ابحثوا عن الربّ الضابط الكلّ وأنتم لا تدركون سرّ حكمته... كيف إذاً تبحثون عن الله وتعرفون عقله وتدركون أفكاره؟».

وقال بولس الرسول «يَا لَعْمَقُ غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطَرَفَهُ عَنِ الْأَسْتِنْقَاءِ! لِأَنَّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ، أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا» (رومية ١١: ٣٣-٣٤).

من هذا يتضح عجز الإنسان عن معرفة الأمور المختصة بالله.

ضرورة الإعلان:

يحتاج الأمر إذاً إلى نعمة الإعلان أو «إشراق الله» ليعرفنا بسرّ حكمته كما قيل في الكتاب «يَأْتِيَتْ اللَّهُ بِتَكَلُّمٍ وَتَفْتِيحٍ شَفَتِيهِ مَعَكَ وَوُعِلْنَا لَكَ خَفِيَّاتِ الْحِكْمَةِ!» (أيوب ١١: ٥-٦).

إنّ الله مستعدّ أن يعلن لك عن نفسه، فمن صلاة السيد المسيح ترى هذه الحقيقة إذ يقول «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لِأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلْأَطْفَالِ» (متى ١١: ٢٥) ولعلّك تدرك من هذا الكلام أنّ إشراق النعمة في القلب تعلى للبسطاء المشبهين هنا بالأطفال. أما الذين يريدون أن يدركوا بالعقل والحكمة وحدهما تلك الأسرار فلن يبلغوا إليها. لقد أعلن الله الآب سرّ الإيمان لبطرس الرسول فقال: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طَوْبِي لَكَ يَا سَمْعَانَ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ١٦: ١٣-١٧).

إنّ يسوع المسيح نفسه أيضاً مستعدّ أن يعلن لك عن ذاته وعن سرّ الإيمان إذ يقول: «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْآبُ، وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْآبُ وَمَنْ أَرَادَ الْآبَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ» (متى ١١: ٢٧).

لقد تكرم الابن فأعلن لبولس الرسول سرّه فقال: «لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عَلَّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غلاطية ١: ١٢).

والروح القدس في ملء نعمته يعمل الآن في العالم معلناً لكل إنسان طريق الإيمان ليتمتع بشركة النعمة ويعرف الرب حق المعرفة. هذا ما وضّحه بولس الرسول في قوله: «كَيْنَمَا تَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةٍ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ، وَلَكِنْ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الدَّهْرِ، وَلَا مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ، الَّذِينَ يُنْطَلِقُونَ. بَلْ تَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ فِي سِرٍّ: الْحِكْمَةُ الْكُتُومِيَّةُ، الَّتِي سَبَقَ اللَّهُ فَعَيَّنَهَا قَبْلَ الدَّهْرِ لِحَيْدَانَا، الَّتِي لَمْ يَعْلَمْهَا أَحَدٌ مِنْ عُظَمَاءِ هَذَا الدَّهْرِ - لِأَنَّ لَوْ عَرَفُوا لَمَّا صَلَبُوا رَبَّ الْحَيِّ. بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَمَا لَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ». فَأَعْلَنَهُ اللَّهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لِأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ سِرِّ عَنِّي أَعْمَاقَ اللَّهِ. لِأَنَّ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الْإِنْسَانِ إِلَّا رُوحَ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هَكَذَا أَيْضاً أُمُورَ اللَّهِ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلَّا رُوحُ اللَّهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ

العالم، بل الروح الذي من الله، لتعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله، التي نتكلم بها أيضاً، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية (أي الفلسفة)، بل بما يعلمه الروح القدس، قارين الروحيات بالروحيات. ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما يروح الله لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً. وأما الرُّوحِيّ فيحكّم في كل شيء» (١ كورنثوس ٢: ٦-١٦).

يتضح لك من هذا الكلام نقطة جوهرية في غاية الأهمية وهي ضرورة تحوّل الإنسان الطبيعي إلى إنسان روحي حتى يستطيع أن يقبل ويعرف الأمور الخاصة بالله. فاطلب من الرب أن يغيّرك ويعلن لك عن ذاته. ولا بد أن يستجيب لأنه يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تيموثاوس ٢: ٤).

جاذبية حنان

قال فيلسوف مشهور: «إنّ الإنسان لا يملك أن يبلغ بقوته الطبيعية إلى طبيعة الله، ولكن الله هو الذي يجذب إليه الإنسان ويرفعه إلى بهاء لا يدركه عقل» (تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط ص ٥٤).

حقيقة لا يمكن أن يقبل أحد إلى الله إن لم يجتذبه هو، كما قال السيد المسيح له المجد: «لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَقْبَلَ إِلَيَّ إِلَّا لَمْ يَجْتَذِبْهُ الْآبُ» (يوحنا ٦: ٤٤). وإذ عرفت عروس النشيد هذا السرّ صرخت قائلة «أَجْدُبْنِي وَرَاعِكَ فَتَجْرِي» (نشيد ١: ٤).

والرب يجذبنا إليه بحبته وحنانه. فإذا تذكر النفس البشرية مقدار محبة الله لها نسيت في محبته. ويقول الرسول «نَحْنُ نَحِبُّهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوْلًا» (١ يوحنا ٤: ١٩).

ألا تدري ما فعلته محبة الله من أجلك؟ يقول بولس الرسول «اللَّهُ بَيْنَ مَحَبَّتَيْهِ لَنَا، لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا» (رومية ٥: ٨). لقد دفعته المحبة أن يتخذ جسداً بشرياً ويسير في طريق الجلجثة حاملاً الصليب ليوفي عتي وعنك قصاص الخطية الذي نستحقّه وهو الموت... وبسرّ عجب يدخل القبر الرهيب، ويطفى نار اللهب، ويفتح لنا باب الرجاء وطريق الحمد، وحطم بقيامته سلطان الموت وأغلال الخطية، وذهب في حبّ عجب ليعد لنا مكاناً في ملكوته الذي سرّ أن يعطيه لنا (لوقا ١٢: ٣٢). وعن قريب يأتي المسيح ليأخذنا، حتى حيث يكون نكون نحن أيضاً معه في مجده (يوحنا ١٤: ٢٠-٣).

إيه أيّتها المحبة الإلهية! أيّ امتياز أعطيتنا، وأية كرامة وهبت لنا، وبأيّ حنان جذبتنا!

عن غير طريق الحبّ لن تعرف الله. فالعبادة ليست مجرد تعاليم وعقائد ونظريات وفرائض، وإنما هي قمة الحبّ وأسمى درجاته. وليس الله «صورة» لكائن قد صنعتها عقول البشر وتختللتها أفكار الناس وحدّتها تعاريف رجال الدين وحللتها نظريات الفلاسفة واللاهوتيين بحسب ما يتناسب مع عقولهم من آراء ومفاهيم، بل كما قال الرسول: «اللَّهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَنْبُتْ فِي الْحَبَّةِ يَنْبُتْ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ فِيهِ» (١ يوحنا ٤: ١٦).

فهل ارتبط قلبك بمحبة الله؟ لا ترتبك بالنظريات والمناقشات، ولكن يكفي أن تتأمل في الله المحب وستظهر نفسك من أنانيتك.

ور الإيمان

عندما تشرق النعمة في قلب الإنسان يستضيء بنور الإيمان ولا يمكن للمرء أن يصل إلى الإيمان الحقيقي بدون إشراق النعمة كما يوضح الكتاب قائلاً: «قَدْ جَاءَ نُورُكَ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ. لِأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغْطِي الْأَرْضَ وَالظُّلَامُ الدَّامِسُ الْأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكَ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكَ يُرَى. فَتَسِيرُ الْأُمَمُ فِي نُورِكَ، وَالْمَلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ» (إشعيا ٦٠: ١-٣).

وقال بولس الرسول: «لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لِإِتْرَافِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللَّهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢ كورنثوس ٤: ٦).

وقد أشرقت النعمة في حياة كثيرين نذكر منهم:

شاوول الطرسوسي: وهو رجل يهودي متعصب كان يضطهد المسيحيين ويجرّهم إلى السجون، ويحكي هو عن نفسه قائلاً: «فَأَنَا أَوْتَأَيْتُ فِي نَفْسِي أَنَّهُ يُبْعِي أَنْ أَصْنَعَ أُمُوراً كَثِيرَةً مُضَادَّةً لِاسْمِ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ. وَفَعَلْتُ ذَلِكَ أَيْضاً فِي أُورُشَلِيمَ، فَحَبَسْتُ فِي سُجُونٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْقِدِّيسِينَ... وَمَا كَانُوا يُقْتَلُونَ الْقَيْثَ فُرْعَةً بِذَلِكَ. وَفِي كُلِّ الْجَامِعِ كُنْتُ أَعَاقِبُهُمْ مِرَاراً كَثِيرَةً، وَأَضْطَرُّهُمْ إِلَى التَّجْدِيفِ. وَإِذْ أَفْرَطَ حَنَفِي عَلَيْهِمْ كُنْتُ أَطْرُدُهُمْ إِلَى الْمَدِينِ الَّتِي فِي الْخَارِجِ. «وَمَا كُنْتُ ذَاهِباً فِي ذَلِكَ إِلَى دِمَشْقَ، بِسُلْطَانٍ وَوَصِيَّةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، رَأَيْتُ فِي نِصْفِ النَّهَارِ فِي الطَّرِيقِ، أَيُّهَا الْمَلِكُ، نُوراً مِنَ السَّمَاءِ أَفْضَلَ مِنْ لَمَعَانِ الشَّمْسِ قَدْ أَتْرَقَ حَوْلِي... سَمِعْتُ صَوْتاً يُكَلِّمُنِي بِاللُّغَةِ الْعِبْرَانِيَّةِ: سَأُولُ سَأُولُ، لِمَاذَا تَضْطَرُّنِي... فَقُلْتُ أَنَا: مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟ فَقَالَ: أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَرُّهُ. وَلَكِنْ قُمْ وَعَلَى رِجْلَيْكَ لِأَنِّي لِهَذَا ظَهَرْتُ لَكَ، لِأَنْتَ خَلِّتَ خَادِماً وَسَاهِداً بِمَا رَأَيْتُ وَمَا سَاطَهُ لَكَ بِهِ، مُتَقِداً إِيَّاكَ مِنْ الشَّعْبِ وَمِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ، لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلْمَاتٍ إِلَى نُورٍ، وَمِنْ

سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللَّهِ، حَتَّى يَبْتَلُوا بِالْإِيمَانِ بِي
عُزْرَانَ الْخَطِيئَةَ وَنَصِيصًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أعمال الرسل
٩: ٢٦-١٨).

وهكذا أشرقت النعمة واستنار شاول بنور الإيمان
وأصبح فيما بعد بولس الرسول فيلسوف المسيحية.

الشيخ ميخائيل منصور (عن كتاب باسمه طبع
بمطبعة المحيط بالفجالة، تأليف أخيه الشيخ كامل
منصور ص ٩-٤١): هذا الرجل أيضاً أشرقت
النعمة في حياته، وولّخص لك ما كتبه عنه أخوه
الشيخ كامل منصور قال: «هوم. بن م. بن منصور،
وُلد بمدينة سوهاج في شهر مارس سنة ١٨٧١.
تلقى علوم الدين على أيدي كبار رجال الدين. وبعد
أن أتم علومه كان يصرف في العبادة أكثر ليله غارقاً
في بحار البحث وراء الأسرار الإلهية. وفي سنة
١٨٩٣ قام في ذهنه أن يبحث في أمر الدين
المسيحي، واستأذن أستاذه في مجادلة المسيحيين،
فلم يوافق على ذلك خوفاً على تلميذه من أن يقع في
الخيلاء والكبرياء.

ولكنه ابتداءً يناقش ويجادل رجال الدين. وكثيراً
ما كانت تطول المناقشات على غير طائل، وفي ذات
يوم قال له أحدهم: «كل امرئ يطلب من ربه الهداية،
وأنا أنصحك أن تطلب من الله الإرشاد إلى الحق».
فقابل هذا الكلام بنوع من الاستهزاء قائلاً له: «وهل
أنا أشك في عقيدتي؟ معاذ الله». إلا أنه بعد مفارقتها
له دار في خلد ما طلبه منه هذا الرجل «أنا أنصحك
أن تطلب من الله الإرشاد إلى الحق» وأخذت نعمة
الروح القدس تعمل عملها في قلبه... وابتدأت
مرحلة الشك حتى لقد ظننا أنه قد أصيب بمرض
عقلي، فكان يبدو شاحب اللون ولقد عكف على
قراءة الكتاب المقدس مفتشاً عن الحق الإلهي...

وبعد مدة ظهرت على وجهه علامات السرور
والبهجة. وما ذلك إلا لأن أنوار الفادي شملته
وأشرقت على نفسه شمس البر.

لقد تجلّى له المسيح بمحبته الفائقة وسمو مبادئه
وجمال تعليمه، فعرف أنه وحده الطريق والحق
والحياة، وأن الإنسان خاطئ وجاهل وعبد لا
يخلصه غير المسيح. وإن نسيت ذاكرتي أموراً كثيرة
فلم أنس ولن أنسى الفرح العظيم الذي ملأ قلبه
والبشر الجليل الذي تلاً له مُحياه، ثم الدموع التي
بللت ملابسه من شدة سروره عندما طلبت منه
الإنجيل أول مرة. والحق يقال إنني كنت في أول الأمر
خجلاً به، وكنت طوراً أدعو الله من أجله ليرجع،
وتارة كنت أبحث عن المشهورين بالعلم والذكاء
لأخذهم إليه حتى يرجعوه، وأحياناً كنت ألتجأ إلى
بعض الأشرار ليهيئوه. ولكنني وجدته ثابتاً كالطود
الشامخ في المسيح يسوع، مستعداً في حبه له كل
عذاب. فكُرت طويلاً في ما هو سر ذلك؟ إنني أعلم

ببقين تام بأنه لم تكن له غاية علمية، فقد بدا لعيني
واضحاً. فقابلني هذه المقابلة البهجة، ونشكر الله
لأنه كان سبباً في هداية كثيرين أولهم أنا إلى مجد
الفادي.

عظم برهان

إذ يجذب الإنسان بعمل النعمة إلى حظيرة
الإيمان لا يحتاج فيما بعد إلى دليل أو برهان منطقي
لتثبيت حقائق الإيمان، بل أصبح الدليل والبرهان في
قلبه من داخل، إذ يرى الرب في داخله وقد حوّله إلى
رجل آخر، ولا يعود فيما بعد يبحث عنه خارج
كيانه! فقد قال الفيلسوف الشهير أوغسطينوس بعد
أن قبل الإيمان «ها إنني قد وجدتك وأدرتك. فها
لسعدي، ما أعظمه! ويا لحظي، ما أسعده! كنت
أفتش عليك في أشياء خارجية ولكن هذا الفتيش لم
ينفعني إذ وجدتك في نفسي وفي قلبي، وها أنا
أمسكك وها أنا أراك» (إعترافات القديس
أوغسطينوس).

فالؤمن يرى ويلمس الرب في حياته التي غيرها
بالتمام، فحوّله من إنسان شهواني عبد الخطيئة إلى
إنسان روحاني محب للقداسة.. المؤمن يرى الرب
في قلبه الذي تطهر من أدران الخطيئة «طوبى للأتقياء
القلبي، لأنهم يُعابئون الله» (متى ٥: ٨).

إن الإيمان بعد عمل النعمة لا يصبح فيما بعد إيماناً
عقلياً بأمور غيبية يفتقر إلى أدلة وبراهين، بل إيماناً
اختبارياً يجعل الذئب حملاً. وهذا هو أكبر دليل
وأعظم برهان على صحة الإيمان.

إختبار القديس موسى الإفريقي:

كان رجلاً وحشيئاً قاتلاً ورئيس عصابة وثنيئاً،
ولكن النعمة بدأت ترسل أشعتها إلى قلبه فذهب إلى
شيخ قديس وقال له: «قد سمعت أنك عبد الله
الصالح ومن أجل هذا هربت وأتيت إليك ليخلصني
الإله الذي خلصك، فاخبرني وعزفني عن الله».
فسأله القديس: «وماذا كان معبودك؟» أجابه: «إنني
لا أعرف سوى الشمس إلهاً، لأنني لما تطلعت إليها
وجدت أنها أنارت المسكونة بضياها، وكذلك إلى
القمر والنجوم التي فيها أسرار عجيبة، وكذلك إلى
البحر وقوته. ولكن كل هذه جميعاً لم تشبع نفسي.
وعرفت أنّ هناك إلهاً آخر لا أعرفه أعظم من كل هذه
وقلت له: أيها الرب الإله الساكن في السماء، هادي
الخليقة كلها، اهدني إليك الآن، وعزفني ما
يرضيك. لذلك أتيت إليك لتخبرني وتسال الله عني
حتى لا يغضب عليّ لأجل شرّ أعمالي». (عن
مخطوط المتحف القبطي ص ٤٩٦).

فابتدأ الشيخ يعظه بكلام الله، وحدّثه عن الدينونة
والخلاص ومحبة الله للخطاة. وتكامل عمل النعمة

في قلبه فأشرق الرب في قلبه وسالت دموع التوبة
ولمعه وجهه بنور الإيمان، وأصبح موسى المتوحش
قديساً من أعظم رجال الإيمان.

من الذي غير هذا الذئب إلى حمل؟ إنه عمل
النعمة العجيب! ومن الذي أفهمه الإيمان؟ لقد رأى
الرب في حياته ولمس يده الخالقة تغيره بالتمام!

اختبار جبران:

نشأ جبران في بيت متعصب، وأشرف الأب على
تلقين ابنه أصول الدين. وما أن مات الأب حتى تحلّل
الشاب من قيود الأخلاق وتوغّل في الإجرام، حتى
فكر أهله في حلّ للمشكلة فأودعوه مدرسة داخلية.

وكان بالمدرسة طالب يدعى ميشيل وذاق ميشيل
من جبران ألوان العذاب حتى جاء يوم احتفال
بالمدرسة وفكر جبران إمعاناً في مضايقة ميشيل أن
يكلفه بحمل جميع الكراسي اللازمة، واستصدر
بذلك أمراً من إدارة المدرسة. وذهب ليبحث عن
ميشيل فلمحه يقفز من فوق سور المدرسة ويتوغّل في
غابة بالقرب من السور، فظّنه هارباً من المسؤولية
فتتبّعه، وإذ به يراه يذلف إلى موضع جعلت منه
الأغصان المتشابكة شبه كوخ صغير، ومن خلف
إحدى الأشجار وقف جبران متخفياً ليستقصي سرّ
هذا الكوخ!! وإذ به يرى ميشيل يوقد شمعة صغيرة
ثم يركع على ركبتيه ويسمع صوته الخافت يعثي

(على حدّ تعبيره قبل أن يعرف معنى ذلك) ثم يراه
يخرج مفكرة (على حدّ تعبيره من جيبه ويقرأ فيها)
وبعد أن انتهى من القراءة رآه يرفع وجهه إلى أعلى،
ويلاحظ انسكاب الدموع من عينيه وصوته مختنقاً
بالبكاء... وبعد أن انتهى من ذلك أطفأ الشمعة وعاد
إلى المدرسة، وجبران يتبعه من بعيد. وما أن دخل
ميشيل المدرسة حتى لحق به جبران وأمسك بكنتفه
وسأله: «أين كنت؟» فأجاب: «كنت أعبد ربي».
قال له كذبت، فقد رأيتك وتبعتك منذ أن ففرت
من السور حتى دخلت الكوخ، وأخذت تغثي وتقرأ
في نوتة ثم تبكي.. فإنّ هذا من علامات الجنون».
فأجاب بهدوء: «لست مجنوناً، فما كنت أغثي، بل
ولكنني كنت أرتم للرب. وما كنت أقرأ من نوتة، بل
في الإنجيل. وأخيراً صليت لربي ليغفر إثمي ويعينني
في حياتي».

فقال له: «هل أستطيع أن أرى الإنجيل؟» فأخرجه
له، ولكن جبران كان قد سمع من أبيه أنّ من يمسك
إنجيل النصارى لا بدّ أن يصاب بشلل في يده أو خبل
في عقله. ولكن المنظر الذي رآه جبران جذبته إلى
معرفة سرّ هذه العبادة التي تحدو بالإنسان أن يدخل
الغابة ليتعبّد. فأمسك الإنجيل بأطراف أصابعه حتى
إذا شعر بالشلل ألقاه ونجا من الخطر!! ولكنّه لم يشعر
بشيء مما قيل له، فأخذ الإنجيل واستأذن من ميشيل
أن يقرأه.

الخلاصة

وانفرد جبران بقرأ الإنجيل طيلة الليل... ولكنّه لم يستطع أن يفهم شيئاً. وفي الفجر ذهب إلى ميشيل وأيقظه، وبدأ يسأل عمّا لم يفهمه. وابتدأ ميشيل يشرح له ولكن دون جدوى. فأغلق ميشيل الكتاب وقال له: «سأذكر لك محتويات الإنجيل باختصار».

فالحقيقة الأولى هي أنّ الإنسان خاطئ، وأنا وأنت خطاة.

والحقيقة الثانية أنّ عقوبة خطايانا هي عذاب جهنّم الأبدية.

والحقيقة الثالثة هي أنّ الله في محبته أرسل المسيح ليفدنا من عقوبة الخطية، فضلب عوضاً عمّا.

والحقيقة الرابعة إن أنت آمنت بهذا وندمت على خطاياك يقبلك الربّ ويخلصك من نار جهنّم الأبدية.

كانت كلمات بسيطة ولكنها مسوحة بالنعمة وخارجة عن اختبار. وفي ذات اللحظة كانت يد الله تعمل في قلب جبران.. وكانت المعجزة، وأشرق وجه الفتى وقال: «أنا أوّمن». وصلبياً معاً. وتوالت الأحداث والاختبارات في حياة جبران الشرس الأخلاق إلى جبران الحمل الوديع والخادم المبارك في كرم الربّ، وصار سبب بركة لنفوس كثيرة من أبناء الإيمان وغيرهم.

هذا هو عمل النعمة العجيب والبرهان الأعظم على صحّة إيماننا الأقدس. ليت الربّ يعمل فيك يا عزيزي القارئ لتصير ابناً للعليّ، وشاهداً أميناً للسيد الذي أحبنا وفدانا بدمه.

ونحن بانتظار إجابتك لنرسل لك أحد كتبنا المفيدة كجائزة لك.

- ١ - ذكر كيف يحق للمسيحيين القول: ان الله واحد.
 - ٢ - لم لا تعني أبوة الله التناسل الجسدي، بل الأبوة الروحية؟
 - ٣ - كيف يشهد القرآن للوحدانية الإلهية في العقيدة المسيحية؟
 - ٤ - اذكر النصوص القرآنية الدالة على حقيقة الثالوث في الله الواحد.
 - ٥ - ماذا يعني اسم (الآب) في المفهوم المسيحي؟
 - ٦ - ماذا يعني القول: أنّ لله (ابن)؟
 - ٧ - من هو الروح القدس في الاعتقاد المسيحي؟
 - ٨ - أي نوع من الثالوث يرفضه القرآن والمسيحية؟
 - ٩ - من أين تعلم أن عقل الإنسان لا يستطيع إدراك جميع الأسرار تلقائياً؟
 - ١٠ - ما هي الطرق والأساليب التي تساعدنا على إدراك جوهر الله؟
 - ١١ - لماذا يعلن الله ذاته للبشر؟
 - ١٢ - لم بات ضرورياً أن يصير كلمة الله إنساناً؟
 - ١٣ - كيف كشف الله عن نفسه للشيخ منصور؟
 - ١٤ - كيف يصل المؤمن إلى اليقين في إيمانه بالله وبعمله الخلاصي؟
 - ١٥ - اذكر أهم اختبار بالنسبة لك من اختبارات القديس موسى الإفريقي؟
 - ١٦ - أذكر الحقائق الأربع الهامة في اختبار جبران؟
 - ١٧ - دوّن رأيك الشخصي عن وحدانية الله الجامعة في ثالوثه القدوس؟
- أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل إلى:

لعلّك قد أدركت أيّها القارئ مفهوم الثالوث في الوجودانية الجامعة عندنا نحن المسيحيين. ولعلّك قد تيقّنت أننا لا نعبد ثلاثة آلهة. حاشا! وإمّا نحن نؤمن بإله واحد قائم بذاته، ناطق بكلمته، حيّ بروحه. حلّ الكلمة في السيّدة العذراء مريم، وأخذ منها جسداً بشرياً وهكذا تجسد الكلمة يسوع المسيح، الذي عاش على أرضنا وتمّم خلاصنا.

وإنتي أصليّ إلى الربّ ليشرق بنوره في قلبك، ليعلن لك هذا السرّ العجيب، لأنّ أمور الله لا يدركها أحد إلاّ روح الله، فليتك تطلب أنت أيضاً منه ليعلن لك عن ذاته. اطلب منه أن يغيّرك أولاً ويؤهّلك لقبول عمل النعمة في حياتك لتصير ابناً لله، وشريكاً للطبيعة الإلهية، وعندئذٍ ستدرك بالروح ما يعجز العقل عن إدراكه.

الله معك. كن معافى.

مسابقة كتاب:

«الله واحد في الثالوث الأقدس»

أيها الأخ الكريم، إن ما يتفهّمه المرء جيداً يعبر عنه بوضوح، ويستطيع أن يقوله بسهولة.

فقرأ هذا الكتاب بتأنٍ وتمعّن، ثم دوّن أفكارك وإجاباتك على اثني عشر سؤالاً على الأقل من السبعة عشر المدرجة فيه، لتختبر معلوماتك وتحدّد موقفك بدقة تجاه جواب الله في هذا الموضوع الخطير.

دار الهداية The Good Way P.O.BOX 66 CH-8486 Rikon Switzerland

السواهد القرآنية

سورة البقرة	
٥.....	٢١٥:٢
٤.....	٨٧:٢
٥.....	٢٥٣ و ٨٧:٢
سورة آل عمران	
٤.....	١١٤ و ١١٣:٣
٤.....	٣٩:٣
٤.....	٤:٣
٤.....	٥٥:٣
سورة النساء	
٦, ٤.....	١٧١:٤
سورة المائدة	
٥-٤.....	١١٠:٥
٥.....	١١٦:٥
٦.....	٧٣:٥
٤.....	٨٢:٥
سورة الأنعام	
٥.....	١٠١:٦
سورة يوسف	
٥.....	٨٧:١٢
سورة العنكبوت	
٣.....	٤٦:٢٩
سورة الإخلاص	
٦.....	١١٢

تنشئة	٦:٣٢
٤.	
أيوب	
٧.	٦ و ٥:١١
٦.	٨ و ٧:١١
نشيد الأناشيد	
٧.	٤:١
إشعياء	
٧.	٣-١:٦٠
٤.	٨:٦٤
متى	
٧, ٥	٢٧:١١
٧.	١٧-١٣:١٦
٣.	١٩:٢٨
٨.	٨:٥
مرقس	
٣.	٣٠ و ٢٩:١٢
يوحنا	
٤.	١٤ و ١:١
٥.	١٣:١
٦.	٣٧:٦
٧.	٤٤:٦
أعمال الرسل	
٨.	١٨-٩:٢٦
رومية	
٦.	١٠:١٠
٧.	٣٤ و ٣٣:١١
٣.	٣٠ و ٢٩:٣
٧.	٨:٥
٥.	١٥:٨
١ كورنتوس	
٣.	١٠:٢
٦.	٥-٤:٢
٧.	١٢-٦:٢
٣.	٢-١:٣
٤.	٦:٨
٢ كورنتوس	
٧.	٦:٤
غلاطية	
٧.	١٢:١
٥.	٥:٤
١ تيموثاوس	
٥.	١٦:٣
يعقوب	
٣.	١٩:٢
١ يوحنا	
٦.	٧:١
٧.	١٦:٤
٧.	١٩:٤
٣.	٧:٥